تفسير سورة الإخلاص والمعوذتين

تأليف

أبي عاصم البركاتي الأثري

دار الهدي النبوي

تفسير سورة الإخلاص والمعوذتين

تأليف
أبي عاصم البركاتي الأثري

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الطبعة الأولى
دار الهدي النبوي
١٤٤٥ هـ – ٢٠٢٤
ت/٠١٠٦٤٧٦٣١٩٥

تفسير سورة الإخلاص

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)﴾

عدد أياتها : أربع آيات، وهي مكية في قول الجمهور.

أسماءها: سورة الإخلاص كما في سنن الترمذي وسنن النسائي وورد في "الزهد" لأحمد من حديث ابن عمر رضي الله عنهما من قوله موقوفا : " قَالَ: إِنَّ سُورَةَ الْإِخْلاَصِ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ " قال السيوطي في "الإتقان" (١ /١٩٧) وسورة الْإِخْلاَصِ: تُسَمَّى الْأَسَاسَ لَاشْتِمَالِهَا عَلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَهُوَ أَسَاسُ الدِّينِ. انتهى

و سورة الإخلاص دالة على حقيقة الإخلاص؛ فهي آمرة بالتوحيد الخالص؛ وتنزيه الله تعالى عما لا يليق به.

[سبب نزول السورة]

أخرج الترمذي (٣٣٦٤) وأحمد (٢١٢١٩) عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ فَالصَّمَدُ: الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، لأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُولَدُ إِلاَّ سَيَمُوتُ،

وَلَيْسَ شَيْءٌ يَمُوتُ إِلاَّ سَيُورَثُ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لاَ يَمُوتُ وَلاَ يُورَثُ: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ قَالَ: لَمْ يَكُنْ لَهُ شَبِيهٌ وَلاَ عِدْلٌ وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.

[مناسبة[1] السورة لما قبلها]

ورد قبلها سورة تبت: وتسمى سورة المسد؛ وقد ذكر الله فيها أبا لهب وامرأته اللذين حاربا دعوة التوحيد بكل ما استطاعا من سُبُل وحيل، وتمسكا بالشرك وعبادة الأوثان والأصنام؛ فكانا من أهل النار؛ فجاءت سورة الإخلاص لتأمر الناس بالتوحيد ونبذ الشرك والبراءة منه وأن الله تعالى ليس له كفء ولا عدل ولا شبيه؛ وأن ذلك سبيل النجاة من النار.

قال السيوطي: وقد توازنت السورتان فِي اللَّفْظِ في آخر "تَبَّتْ" وَأَوَّلِ "الْإِخْلاَصِ" . [راجع الإتقان للسيوطي (٣ / ٣٨١)]

[مناسبة السورة لما بعدها]

بعد أن بينت سورة الإخلاص صفات الله تعالى وأنه لا مثيل له ولا ند له ولا مكافيء له؛ جاءت بعدها سورة الفلق لتأمر بالإستعاذة برب الفلق أي الصبح

---

(١) علم الْمُنَاسبَة: علمٌ يبْحَث فِي الْمعَانِي الرابطة بَين الْآيَات بَعْضهَا بِبَعْض، وَبَين السُّور بَعْضهَا بِبَعْض، حَتَّى تُعرف عللُ تَرْتِيب أَجزَاء الْقُرْآن الْكَرِيم. ["مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور" ص ١٨ للباحث عادل بن محمد أبو العلا]

يعني من شر الصبح إذا انفلق نوره ومن شر الليل وظلامه ومن شر الخلق أجمعين؛ لأنه سبحانه وحده القادر على جلب النفع ودفع الضر؛ فهو وحده الإله القادر الذي لا يغلب لأنه لا ند له ولا كفء له.

[من مقاصد السورة]

١- الدعوة إلى توحيد الله تعالى والبراءة من الشرك والكفر .

٢- بيان صفة الرحمن سبحانه وتعالى.

٣- تنزيه الله تعالى عن صفات النقائص فلم يلد ولم يولد، ولا ولد له ولا صاحبة له؛ تنزه سبحانه وتقدس.

٤- نفي مماثلة ومشابهة الله تعالى لخلقه.

٥- صفات الله توقيفية؛ ففي السورة أثبت الله لنفسه بعض الصفات؛ وبعض الصفات نفاها الله عن نفسه.

[فضائل سورة الإخلاص]

ورد في فضل سورة الإخلاص نصوص عديدة :

[١] أخرج البخاري معلقًا (١ /١٥٥) ووصله الترمذي (٢٩٠١) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَانَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ يَؤُمُّهُمْ فِي مَسْجِدِ قُبَاءٍ، وَكَانَ كُلَّمَا افْتَتَحَ سُورَةً يَقْرَأُ بِهَا لَهُمْ فِي الصَّلاَةِ مِمَّا يَقْرَأُ بِهِ افْتَتَحَ: بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ

حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا، ثُمَّ يَقْرَأُ سُورَةً أُخْرَى مَعَهَا، وَكَانَ يَصْنَعُ ذَلِكَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، فَكَلَّمَهُ أَصْحَابُهُ، فَقَالُوا: إِنَّكَ تَفْتَتِحُ بِهَذِهِ السُّورَةِ، ثُمَّ لاَ تَرَى أَنَّهَا تُجْزِئُكَ حَتَّى تَقْرَأَ بِأُخْرَى، فَإِمَّا تَقْرَأُ بِهَا وَإِمَّا أَنْ تَدَعَهَا، وَتَقْرَأَ بِأُخْرَى فَقَالَ: مَا أَنَا بِتَارِكِهَا، إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ أَؤُمَّكُمْ بِذَلِكَ فَعَلْتُ، وَإِنْ كَرِهْتُمْ تَرَكْتُكُمْ، وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْ أَفْضَلِهِمْ، وَكَرِهُوا أَنْ يَؤُمَّهُمْ غَيْرُهُ، فَلَمَّا أَتَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرُوهُ الخَبَرَ، فَقَالَ: "يَا فُلاَنُ، مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَفْعَلَ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ أَصْحَابُكَ، وَمَا يَحْمِلُكَ عَلَى لُزُومِ هَذِهِ السُّورَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ" فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّهَا، فَقَالَ: "حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الجَنَّةَ".

[٢] أخرج البخاري (٧٣٧٥) ومسلم (٨١٣) عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ رَجُلاً عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلاَتِهِمْ فَيَخْتِمُ بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: "سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟"، فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ".

وأخرج الترمذي (٢٨٩٧) والنسائي في "الكبرى" (١٠٦٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: أَقْبَلْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَمِعَ رَجُلاً يَقْرَأُ: "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ" فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "وَجَبَتْ". قُلْتُ: مَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: "الجَنَّةُ".

[٣] تعدل ثلث القرآن:

أخرج مسلم (٨١١) عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ - رضي الله عنه - عَنْ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قَالُوا: وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؛ قَالَ: "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ.

وأخرج الترمذي برقم (٢٨٩٦) عَنْ أَبِي أَيُّوبَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ القُرْآنِ؟ مَنْ قَرَأَ: اللَّهُ الوَاحِدُ الصَّمَدُ فَقَدْ قَرَأَ ثُلُثَ القُرْآنِ ".

وأخرج مسلم برقم(٨١٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: "أَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ"، فَقَرَأَ: قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ حَتَّى خَتَمَهَا.

[توجيه العلماء لكون سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن]

قال الخطيب الشربيني الشافعي في تفسيره "السراج المنير"(٤ / ٦١٠) :

فإن قيل: لم كانت تعدل ثلث القرآن؟ أجيب: بأن القرآن أنزل أثلاثاً ثلث أحكام، وثلث وعد ووعيد، وثلث أسماء وصفات فجمعت هذه السورة أحد الأثلاث، وهو الأسماء والصفات.

❊❊❊❊

[مواضع كان يقرأ فيها ﷺ بسورة الإخلاص]

(١) الْقِرَاءَةِ فِي رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ أي راتبة الفجر:

أخرج مسلم برقم (٧٢٦) وأبو داود (١٢٥٦) والنسائي (٩٤٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، " أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَرَأَ فِي رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ: قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، وَقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ "

(٣) القراءة في ركعتي الطواف:

أخرج مسلم في صحيحه برقم (١٢١٨) من حديث جابر رضي الله عنه : ثُمَّ نَفَذَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَم، فَقَرَأَ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥] فَجَعَلَ الْمَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ، . فصلى ركعتين . كَانَ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ وَ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ .

[التحصن بقراءة سورة الإخلاص]

أخرج البخاري(٥٠١٧): عَنْ عَائِشَةَ: " أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا: "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" وَ"قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ" وَ"قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ"، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ".

[تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾]

فالأحد اسم من أسماء الله الحسنى، ومعنى الأحد أي واحد في ذاته فهو وصف لله بالوحدانية؛ وفيه كذلك نفي الشركاء عنه سبحانه.

والمعنى في الآية: أمر من الله تعالى لنبيه ﷺ أن ينادي بتوحيد الله ويدعو الناس إليه؛ توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الله في أسمائه وصفاته؛ قال سبحانه :﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نوحي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إله إِلاَّ أَنَاْ فَاعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء:٢٥).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (النحل: ٣٦).

وعليه فالآية بيان لأحدية الله تعالى وداعية إلى توحيده سبحانه وإفراده بالتوحيد ونفي الشريك عنه سبحانه .

[تفسير قوله تعالى : ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾]

الصمد اسم من أسماء الله الحسنى ؛ ورد في معناه عدة أقوال كلها صحيحة ؛ فقد أخرج الطبري بسنده عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (الصمد) قال: السيد الذي قد كمل في سؤدده، [١]

---

(١) "جامع البيان" (٢٤ / ٦٩٢).

وورد في تفسير مجاهد ص٧٦٠ عَنْ شَقِيقِ بْنِ سَلَمَةَ، قَالَ: ﴿الصَّمَدُ﴾ "السَّيِّدُ الَّذِي قَدِ انْتَهَى سُؤْدُدُهُ "(١)

وقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: "الصَّمَدُ الَّذِي قَدِ انْتَهَى سُؤْدَدُهُ"(٢)

أي له منتهى السؤدد والشرف والعظمة.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "الصَّمَدُ الَّذِي يُصْمَدُ إِلَيْهِ فِي الْحَوَائِجِ" (٣) أي يقصدونه فِي حَوَائِجِهِمْ وَمَسَائِلِهِمْ.

وقال الحسن في قول الله: ﴿الصَّمَدُ﴾ ، الذي يصمد إليه في الحوائج، ثم تلا هذه الآية: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾.

وعَنْ مُجَاهِدٍ وعكرمة : " الصَّمَدُ: الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ "(٤) .

وَقَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: "الصَّمَدُ الَّذِي لَا يَخْرُجُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَمْ يَخْرُجْ مِنْ شَيْءٍ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ" (٥) .

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٣٧٣٩).

(٢) التوحيد لابن منده (٢/ ٦٢).

(٣) التوحيد لابن منده (٢/ ٦٢).

(٤) تفسير مجاهد ص ٧٦٠ ، ومصنف عَبْدُ الرَّزَّاقِ(٣٧٣٧).

(٥) التوحيد لابن منده (٢/ ٦٢).

وأخرج عبد الرزاق في المصنف (٣٧٣٦): عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: ﴿الصَّمَدُ﴾ : الدَّائِمُ.

وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ : "الْبَاقِي بَعْدَ خَلْقِهِ الدَّائِمُ"(١) .

وقَالَ قَتَادَةُ: الْبَاقِي بَعْدَ فَنَاءِ خَلْقِهِ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ﴾ (٢)

وقَالَ قَتَادَةُ: لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ﴾ (٣).

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: هُوَ الَّذِي لَا يَأْكُلُ الطَّعَامَ، وَلَا يَشْرَبُ الشَّرَابَ.(٤)

[تفسير قوله تعالى : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾]

قوله سبحانه : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ فيه بيان لبعض الصفات التي نفاها الله عن نفسه سبحانه؛ وهي نسبة الولد والوالد لله سبحانه؛ فالله تعالى منزه عن ذلك؛ وعن كل صفات النقائص والمعايب؛ فصفات الله لا نقص فيها ولا عيب؛ فهو الغني سبحانه؛ وفي الآية رد على زعم النصارى وقولهم أن الله تعالى اتخذ الصاحبة والولد؛ قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا . لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا . تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا .

---

(١) التوحيد لابن منده (٢/ ٦٢).

(٢) مفاتيح الغيب (٣٢/ ٣٦٢).

(٣) مفاتيح الغيب (٣٢/ ٣٦٢).

(٤) مختصر ابن كثير للصابوني (٢/ ٦٩٣).

أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا . وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا . إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا . لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا. وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾[مريم : ٨٨ - ٩٥]

وقال: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ﴾[البقرة : ١١٦].

وقال سبحانه : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء : ٢٦]

وقال سبحانه : ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[الأنعام :١٠١].

وقال سبحانه حاكيًا قول الجن: ﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن :٣].

قال البخاري (٤٩٧٤) : حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب، حدثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي - ﷺ- قال: "قال الله تعالى: كذّبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي، فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أولُ الخلق بأهون على من إعادته وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولداً وأنا الأحدُ الصمد، لم أَلِدْ ولم أُولد، ولم يكن لي كفواً أحد".

وورد في تفسير مقاتل بن سليمان (٤ /٦٢٩) : ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ فيورث، ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ فيشارك، وذلك أن مشركي العرب قالوا: الملائكة بنات الرحمن. وَقَالَتِ الْيَهُودُ: عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ. وَقَالَتِ النَّصَارَى: المسيح ابن الله. فأكذبهم الله- عز وجل- فبرأ نفسه من قولهم، فقال: ﴿لَمْ يلد﴾ يعني لم يكن له ولد ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ كما ولد عيسى وعزير ومريم، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ يقول لم يكن له عدل، ولا مثل من الآلهة تبارك وتعالى علوا كبيرا.

تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾

ومعنى قوله سبحانه: ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ أي ليس له كفء والكفء المثل؛ والله تعالى لا مثيل له ولا شبيه ولا نظير ولا عديل ولا شريك؛ فلا مثل له في ربوبيته ولا في أوصافه ولا في أفعاله سبحانه؛ فهو المتفرد في ربوبيته فلا رب غيره فهو الخالق المالك المدبر؛ وهو سبحانه المتفرد في أسمائه وصفاته؛ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى :١١] فمن أثبت الربوبية لغير الله كفر؛ ومن عبد غير الله كفر ؛ ومن شبه الله بخلقه كفر؛ أو شبه الخلق بالله كفر؛ لأنه ليس في المخلوقين من يحيط علما بالله ولا بحقيقة صفاته وكيفيتها؛ قال تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ ، وعليه فالله تعالى منزه عن المثال ؛ قال تعالى : ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[النحل : ٧٤]

قال ابن عطية في تفسيره "المحرر الوجيز" (٣ /٤٠٩) : وقوله ﴿فَلا تَضْرِبُوا﴾ أي لا تمثلوا لله الأمثال، وهو مأخوذ من قولك: ضريب هذا أي مثله. انتهى

والخلاصة أن أهل السنة يصفون الله بما وصف به نفسه بغير تشبيه أو تمثيل أو تكييف؛ يؤمنون بالمعنى ويفوضون في الكيف؛ وينفون عن الله ما نفاه عن نفسه؛ لِأَنَّهُ سبحانه الْكَامِلُ فِي جَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ.

والله وحده من وراء القصد

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي وآله وصحبه

****

تفسير سورة الفلق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥)﴾

مكية[١] فِي قَوْلِ الْحَسَنِ وَعِكْرِمَةَ وَعَطَاءٍ وَجَابِرٍ، وَمَدَنِيَّةٌ فِي أَحَدِ قَوْلَيِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةَ.

وعدد آياتها ٥. نزلت بعد سورة الفيل.

سبب نزول السورة:

أخرج البيهقي في "الدلائل" (٧/ ٩٢) واللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة"(٢٢٧٢): عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: كَانَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُهُ، يُقَالُ لَهُ: لَبِيدُ بْنُ أَعْصَمَ، وَكَانَ تُعْجِبُهُ خِدْمَتُهُ، فَلَمْ تَزَلْ بِهِ يَهُودُ حَتَّى سَحَرَ النَّبِيَّ ﷺ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَذُوبُ وَلَا يَدْرِي مَا وَجَعُهُ، فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ نَائِمٌ إِذْ أَتَاهُ مَلَكَانِ، فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِهِ، وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِهِ لِلَّذِي عِنْدَ رِجْلَيْهِ: مَا

---

(١) على صحة القول أن المعوذتين نزلتا بمكة للهداية والتوجيه ابتداء؛ ونزول جبريل عليه السلام بالمدينة لرقية رسول الله ﷺ بهما لما أصابه سحر اليهود.

وَجَعُهُ؟ قَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِهِ مَطْبُوبٌ. قَالَ الَّذِي عِنْدَ رِجْلَيْهِ: مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِهِ: لَبِيدُ بْنُ أَعْصَمَ ، قَالَ الَّذِي عِنْدَ رِجْلَيْهِ: بِمَ طَبَّهُ؟ قَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِهِ: بِمِشْطٍ وَمِيشَاطَةٍ وَجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ بِذِي ذَرْوَانَ، وَهِيَ تَحْتَ رَاعُوفَةَ الْبِئْرِ فَاسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَدَعَا عَائِشَةَ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ أَشَعَرْتِ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَنْبَأَنِي بِوَجَعِي» ؟ فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَغَدَا مَعَهُ أَصْحَابُهُ إِلَى الْبِئْرِ، فَإِذَا مَاؤُهَا كَأَنَّهُ نُقُوعِ الْحِنَّاءِ، وَإِذَا نَخْلُهَا - الَّذِي يَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا - قَدِ الْتَوَى سَعَفُهُ كَأَنَّهُ رُءُوسِ الشَّيَاطِينِ قَالَ: فَنَزَلَ رَجُلٌ فَاسْتَخْرَجَ جُفَّ طَلْعَةٍ مِنْ تَحْتِ الرَّاعُوفَةِ، فَإِذَا فِيهَا مِشْطُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمِنْ مُرَاطَةِ رَأْسِهِ، وَإِذَا تِمْثَالٌ مِنْ شَمْعٍ تِمْثَالُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَإِذَا فِيهَا إِبَرٌ مَغْرُوزَةٌ، وَإِذَا وَتَرٌ فِيهِ إِحْدَى عَشَرَةَ عُقْدَةً ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْمُعَوِّذَتَيْنِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١] وَحَلَّ عُقْدَةً، ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ٢] ، وَحَلَّ عُقْدَةً، حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا، ثُمَّ قَالَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١] وَحَلَّ عُقْدَةً، حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا، وَحَلَّ الْعُقَدَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَا يَنْزِعُ إِبْرَةً إِلَّا وَجَدَ لَهَا أَلَمًا، ثُمَّ يَجِدُ بَعْدَ ذَلِكَ رَاحَةً. فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ قَتَلْتَ الْيَهُودِيَّ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَدْ عَافَانِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَا وَرَاءَهُ مِنْ عَذَابِ اللهِ أَشَدُّ» .

وقال الألباني في "السلسلة الصحيحة" (٦/ ٦١٧) : وكذا زيادة نزول جبريل بـ(المعوذتين) ، وسندها صحيح.

وقال السيوطي في "لباب النزول" ص ٢٢٠ : وأخرج أبو نعيم في الدلائل من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أنس بن مالك قال: صنعت اليهود لرسول الله ﷺ شيئا فأصابه من ذلك وجع شديد؛ فدخل عليه أصحابه فظنوا أنه لما به، فأتاه جبريل بالمعوذتين فعوذه بهما فخرج إلى أصحابه صحيحا . اهـ

وقد قال بهذا البغوي والقرطبي وابن الجوزي وعزاه ابن الملقن للرافعي.

مناسبة السورة لما قبلها:

قبلها في ترتيب السور سورة الإخلاص؛ وهي في بيان التوحيد وأسماء الله وصفاته؛ ونفي الشريك والمثيل عنه سبحانه؛ فجاءت سورة الفلق بعدها في الترتيب لتكون شرحًا وبيانًا لما يستعاذ منه بالله الذي له كمال الصفات ؛ كذا بيان التوحيد في الاستعاذة والاستعانة وطلب الحماية منه سبحانه فهو وحده القادر على دفع الضر.

ومن جميل ما يذكر وهو مناسبة سورة الفلق في الوزن لفواصل سورة الإخلاص وسورة تبت .

وعلَّق فخر الدين الرازي في "تفسيره" (٣٢/ ٣١٠) على مناسبة السورة لما قبلها من السور فقال : إِنَّهُ سُبْحَانَهُ خَتَمَ كِتَابَهُ الْكَرِيمَ بِتِلْكَ الطَّرِيقِ الَّتِي هِيَ أَشْرَفُ الطَّرِيقَيْنِ، فَبَدَأَ بِذِكْرِ صِفَاتِ اللَّهِ وَشَرْحِ جَلَالِهِ، وَهُوَ سُورَةُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ﴾ أَحَدٌ ثُمَّ أَتْبَعَهُ بِذِكْرِ مَرَاتِبِ مَخْلُوقَاتِهِ فِي سُورَةِ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ثم ختم بِذِكْرِ مَرَاتِبِ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَعِنْدَ ذَلِكَ خَتَمَ الْكِتَابَ، وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ إِنَّمَا يَتَّضِحُ تَفْصِيلُهَا عِنْدَ تَفْسِيرِ هَذِهِ السُّورَةِ عَلَى التَّفْصِيلِ، فَسُبْحَانَ مَنْ أَرْشَدَ الْعُقُولَ إِلَى مَعْرِفَةِ هَذِهِ الْأَسْرَارِ الشَّرِيفَةِ الْمُودَعَةِ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ.

مناسبة السورة لما بعدها:

بعدها في الترتيب سورة الناس؛ وقد نزلتا معا كما مر في سبب نزول السورتين؛ وقد اشتركتا في التسمية بالمعوذتين، وفي الافتتاح بـ (قُلْ أَعُوذُ) ولذلك قرنتا في الترتيب؛ وفي وحده الموضوع ؛ وفي الفضائل؛ وفي الرقية بهما.

وفي سورة الفلق استعاذة من شَرّ النَّفس؛ وفي سورة الناس استعاذة من قرينها وصاحبها؛ فَأمر الله سُبْحَانَهُ نبيه وَأَتْبَاعه بالاستعاذة بربوبيته التَّامَّة الْكَامِلَة من هذَيْن الخلقين الْعَظِيم شَأْنهمَا فِي الشَّرّ وَالْفساد.

❋❋❋

فضائل سورة الفلق وسورة الناس:

(١) رَوَى مُسلم فِي صَحِيحه من حَدِيث عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ، قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ».

(٢) روى أبو داود عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ الْجُحْفَةِ، وَالْأَبْوَاءِ، إِذْ غَشِيَتْنَا رِيحٌ، وَظُلْمَةٌ شَدِيدَةٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ بِأَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَأَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، وَيَقُولُ: «يَا عُقْبَةُ، تَعَوَّذْ بِهِمَا فَمَا تَعَوَّذَ مُتَعَوِّذٌ بِمِثْلِهِمَا»، قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَؤُمُّنَا بِهِمَا فِي الصَّلَاةِ.

(٣) روى الدارمي عن عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ، أنه قال: تَعَلَّقْتُ بِقَدَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقْرِئْنِي سُورَةَ هُودٍ، وَسُورَةَ يُوسُفَ. فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «يَا عُقْبَةُ إِنَّكَ لَنْ تَقْرَأَ مِنَ الْقُرْآنِ سُورَةً أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ وَلَا أَبْلَغَ عِنْدَهُ مِنْ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ».

(٤) روى الترمذي وابن ماجه عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدري قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنَ الجَانِّ وَعَيْنِ الإِنْسَانِ حَتَّى نَزَلَتِ المُعَوِّذَتَانِ فَلَمَّا نَزَلَتَا أَخَذَ بِهِمَا وَتَرَكَ مَا سِوَاهُمَا».

(٥) أخرج النسائي وابن حبان عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اقْرَأْ يَا جَابِرُ» قُلْتُ: وَمَاذَا أَقْرَأُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «اقْرَأْ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ» فَقَرَأْتُهُمَا، فَقَالَ: «اقْرَأْ بِهِمَا، وَلَنْ تَقْرَأَ بِمِثْلِهِمَا»

(٦) أخرج البخاري عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- إِذَا أَرَادَ النَّوْمَ يَجْمَعُ يَدَيْهِ فَينْفُثُ فِيهِمَا، وَيَقْرَأُ بِـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ، وَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ، وَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا عَلَى وَجْهِهِ وَرَأْسِهِ وَسَائِرِ جَسَدِهِ. وعند أبي داود : يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ.

(٧) وفي الصحيحين عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَنْفُثُ عَلَى نَفْسِهِ فِي المَرَضِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ، فَلَمَّا ثَقُلَ كُنْتُ أَنْفِثُ عَلَيْهِ بِهِنَّ، وَأَمْسَحُ بِيَدِ نَفْسِهِ لِبَرَكَتِهَا».

(٨) وروى الترمذي عن عبد الله بن خبيب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له : قُلْ : " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ " ، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ ، حِينَ تُمْسِي وَتُصْبِحُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ، تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

مقاصد سورة الفلق:

(١) التوجيه إلى طلب الاستعاذة من الله من كل شر ومكروه؛ وذلك من الدعاء المطلوب والتوكل المشروع.

وفيه الإقرار بأنّ الله -تعالى- هو خالق الخير والشر، فيطلب منه النفع ويستعاذ به لدفع الضر.

(٢) طلب التحصن بالله من شر الليل إذا أقبل بظلامه وبما فيه من مخاوف.

(٣) طلب التحصن بالله من السواحر والحسدة؛ وأن السحر والحسد يؤذي بل قد يقتل .

(٤) تتمحور السورة حول الاعتصام بالله من سائر الشرور.

تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾

قل: أي قل يا محمد؛ والخطاب للنبي محمد ﷺ وأتباعه.

أعوذ : أحتمي وأتقي وألتجئ وأتحصن؛ وحقيقة التعوذ: الهروب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه؛ ولذا دل الله تعالى إلى التعوذ به سبحانه (رب الفلق).

وفي الحديث: «أن ابنة الجون لما أدخلت على النبي ﷺ فوضع يده عليها، قالت: أعوذ بالله منك. فقال لها. لقد عذت بمعاذ، الحقي بأهلك»[1] .

وجاء عن النبي ﷺ في امتثال هذا الأمر «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» متفق عليه.

---

(١) أخرجه البخاري وأحمد .

و«أعوذ بكلمات الله التامات» رواه مسلم .

و«أعوذ بعزة الله وقدرته» رواه مسلم.

وقوله : " أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك" رواه مسلم.

وقد أخبر تعالى في كتابه عمن استعاذ بخلقه أن استعاذته زادته طغيانا ورهقا. فقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزادُوهُمْ رَهَقاً﴾ جاء في التفسير: أنه «كان الرجل من العرب في الجاهلية إذا سافر فأمسى في أرض قفر، قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه. فيبيت في أمن وجوار منهم، حتى يصبح» أي فزاد الإنس الجن باستعاذتهم بسادتهم رهقا أي طغيانا وإثمًا وشرًا . يقولون: سدنا الإنس والجن. و «الرهق» في كلام العرب: الإثم وغشيان المحارم. فزادوهم بهذه الاستعاذة غشيانا لما كان محظورا من الكبر والتعاظم، فظنوا أنهم سادوا الإنس والجن(١).

والفلق: بمعنى الشق؛ يقال مررت بجَرَّةٍ فيها فُلوقٌ، أي شقوقٌ. وانفلق الْمَكَان بِهِ: انْشَقَّ. وفلقت النَّخْلَة، وَهِي فالق: انشقت عَن الطّلع. وقَالَ الأصمعيّ: الفَلق: المطمئنُّ من الأَرْض بَين المرتفعين. وَقَالَ الزجَّاج: الفَلق: بَيَان الصُّبح .

---

(١) بدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ٢٠٣).

وفلق الله الْفجْر: أبداه وأوضحه. وعليه فالفلق هو الصُّبْح؛ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿فالِقُ الْإِصْباحِ﴾ [الْأَنْعَامِ: ٩٦]؛ والله تعالى ذِكره أقسم بالصبح عند إسفاره: ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ . وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴾ وأسفر أي أضاء.

وورد أن نَافِع بن الْأَزْرَق قَالَ لابن عباس: أَخْبرنِي عَن قَوْله تَعَالَى: ﴿قل أعوذ بِرَبّ الفلق﴾ فقَالَ: أعوذ بِرَبّ الصُّبْح إِذا انْفَلق عَن ظلمَة اللَّيْل "(١).

وفي الصحيحين البخاري ومسلم عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: "أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ " .

فال ابن عاشور في تفسيره "التحرير والتنوير" (٣٠ / ٦٢٦) : والْفَلَقِ: الصُّبْحُ، وَهُوَ فَعَلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ مِثْلَ الصَّمَدِ لِأَنَّ اللَّيْلَ شُبِّهَ بِشَيْءٍ مُغْلَقٍ يَنْفَلِقُ عَنِ الصُّبْحِ، وَحَقِيقَةُ الْفَلْقِ: الِانْشِقَاقُ عَنْ بَاطِنِ شَيْءٍ، وَاسْتُعِيرَ لِظُهُورِ الصُّبْحِ بَعْدَ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وَهَذَا مِثْلَ اسْتِعَارَةِ الْإِخْرَاجِ لِظُهُورِ النُّورِ بَعْدَ الظَّلَامِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَها وَأَخْرَجَ ضُحاها﴾ [النازعات: ٢٩] ، وَاسْتِعَارَةِ السَّلْخِ لَهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهارَ﴾ [يس: ٣٧] . انتهى

---

(١) الدر المنثور للسيوطي (٨/ ٦٨٨).

وقيل: الفلق جب فِي جَهَنَّم مغطى؛ وقد روى ابن جرير في ذلك فأخرج بسنده عن أبي هريرة، مرفوعًا : "الفلق: جب في جهنم مغطى، وأما سجين فمفتوح"؛ وقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: هُوَ حَدِيثٌ غَرِيبٌ مُنْكَرٌ لَا يَصِحُّ.

وقيل: الْفَلَقِ الْخَلْقُ.

وَقِيلَ: هُوَ الرَّحِمُ تَنْفَلِقُ بِالْحَيَوَانِ.

وَقِيلَ: هُوَ كُلُّ مَا انْفَلَقَ عَنْ جَمِيعِ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنَ الْحَيَوَانِ والْأَرْضِ وَالصُّبْحِ وَالْحَبِّ وَالنَّوَى، وَالنَّبَاتِ وَالْجِبَالِ عَنِ الْعُيُونِ، وَالسَّحَابِ عَنِ الْمَطَرِ، وَالْأَرْحَامِ عَنِ الْأَوْلَادِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي "تفسيره "(٢٠ / ٢٥٥): هَذَا الْقَوْلُ يَشْهَدُ لَهُ الِاشْتِقَاقُ، فَإِنَّ الْفَلَقَ الشَّقُّ. فَلَقْتُ الشَّيْءَ فَلْقًا أَيْ شَقَقْتُهُ. وَالتَّفْلِيقُ مِثْلُهُ. يُقَالُ: فَلَقْتُهُ فَانْفَلَقَ وَتَفَلَّقَ. فكل ما انفلق عن شيء مِنْ حَيَوَانٍ وَصُبْحٍ وَحَبٍّ وَنَوًى وَمَاءٍ فَهُوَ فلق، قال الله تعالى: ﴿فالِقُ الْإِصْباحِ﴾ [الانعام: ٩٦] قال: ﴿فالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوى﴾ [الانعام: ٩٥]. انْتَهَى.

تفسير قوله تعالى: ﴿ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾

وهذا يعم ويشمل كل شرور الدنيا والآخرة؛ أَيْ: مِنْ شَرِّ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ التي لا يدفع شرها إلا مالك أمرها.

وقيل: ﴿ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ : أي إِبْلِيسُ وَذُرِّيَّتُهُ. وَقِيلَ: جَهَنَّمُ.

وأخرج مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عن رَسُول اللَّهِ ﷺ أنه كان يَقُولُ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ: «اللهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، ... ».

وقوله ﷺ : «اللّٰهم إني أعوذ بك من الهمّ والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل، وضلع الدين وغلبة الرجال» أخرجه البخاري.

ومن ذلك تعوذه ﷺ : «من المأثم والمغرم» متفق عليه.

وقوله ﷺ في خطبه الحاجة: «ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا» أخرجه أبو داود وغيره.

تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾

وهذا من ذكر الخاص بعد العام؛ لتعظيمه والتنبيه عليه؛ والغاسق الليل؛ وَأخرج ابْن جرير وَابْن الْمُنْذر عَن مُجَاهِد رَضِي الله عَنهُ ﴿غَاسِق إِذا وَقب﴾ قَالَ: اللَّيْل إِذا دخل.

ورجح الشوكاني أن الأقرب في التأويل بأن الغاسق "الليل" فقال: وَوَجْهُ تَخْصِيصِهِ أَنَّ الشَّرَّ فِيهِ أَكْثَرُ، وَالتَّحَرُّزَ مِنَ الشُّرُورِ فِيهِ أَصْعَبُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: اللَّيْلُ أَخْفَى لِلْوَيْلِ.

ومما يقوي هذا القول ما ورد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "إِيَّاكُمْ وَالسَّمَرَ بَعْدَ هُدُوءِ اللَّيْلِ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي مَا يَبُثُّ

الله من خلقه، غلقوا الأبواب وأوكئوا السقاء وأكفئوا الإناء وأطفئوا المصابيح"(١).

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "كُفُّوا صِبْيَانَكُمْ حَتَّى تَذْهَبَ فَحْمَةُ – أَوْ فَوْرَةُ – العشاء ساعة تهب الشياطين".

وقيل الغاسق الظلام: ومنه قوله سبحانه: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ ﴾ وأصل الغسق الظلمة؛ ورد عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ [الإسراء: ٧٨] قَالَ: "يَعْنِي غُرُوبَ الشَّمْسِ: صَلَاةَ الْمَغْرِبِ".

وقيل الغاسق بمعنى البارد ؛ قَالَ الزَّجَّاجُ: هُوَ اللَّيْلُ لِأَنَّهُ أَبْرَدُ مِنَ النَّهَارِ، وَالْغَاسِقُ: الْبَارِدُ؛ ومنه قوله تعالى ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ﴿ إِلا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ قَالَ: الْحَمِيمُ الْحَارُّ الذي يحرق، الغساق الزَّمْهَرِيرُ الْبَارِدُ.

وَأخرج ابْن مرْدَوَيْه عَن أبي هُرَيْرَة عَن النَّبِي ﷺ فِي قَوْله: ﴿لَا يذوقون فِيهَا بردا وَلَا شرابًا إِلَّا حميماً﴾ قَالَ: قد انْتهى حره ﴿وغساقاً﴾ قَالَ: لقد انْتهى

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٢٣٠) وله ألفاظ أخرى في الصحيحين.

برده وَإِن الرجل إِذا أدنى الإِناء من فِيهِ سقط فَرْوَة وَجهه حَتَّى يبْقى عظاماً تقَعْقع[1].

وقيل الغاسق : القمر؛ فقد أخرج الترمذي وقال حسن صحيح عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَظَرَ إِلَى القَمَرِ، فَقَالَ: "يَا عَائِشَةُ اسْتَعِيذِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا، فَإِنَّ هَذَا هُوَ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ".

وَهَذَا لَا يُنَافِي قَوْلَ الْجُمْهُورِ بأن الغاسق الليل، لِأَنَّ الْقَمَرَ آيَةُ اللَّيْلِ وَلَا يُوجَدُ لَهُ سُلْطَانٌ إِلَّا فِيهِ.

وَقِيلَ الْغَاسِقُ: كُلُّ هَاجِمٍ يَضُرُّ كَائِنًا من كَانَ.

ومعنى إذا وقب: إذا حل ودخل؛ وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمِنْ شَرِّ غاسِقٍ إِذا وَقَبَ قَالَ: اللَّيْلُ إِذَا أَقْبَلَ.

تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾

النفاثات أي السواحر من الإنس والشياطين؛ النَّفْثُ: نفخ مِنَ الْفَمِ وَلَا رِيقَ مَعَهُ، فَإِذَا كَانَ بِرِيقٍ فَهُوَ التَّفْلُ.

والعقد هي عقد الخيط للسحر ؛ وذلك حتى يصعب الشفاء منه بصعوبة حل العقدة أو العُقَد.

---

(١) الدر المنثور للسيوطي (٨/ ٣٩٦).

قال الشاعر:

نَفَثْت في الخيط شبيه الرُّقَى ... من خشيةِ الجِنّة والحاسدِ.

وأخرج البيهقي في "دلائل النبوة" (٩١/٧) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُهُ، يُقَالُ لَهُ: لَبِيدُ بْنُ أَعْصَمَ ، وَكَانَ تُعْجِبُهُ خِدْمَتُهُ، فَلَمْ تَزَلْ بِهِ يَهُودُ حَتَّى سَحَرَ النَّبِيَّ ﷺ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَذُوبُ وَلَا يَدْرِي مَا وَجَعُهُ، فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ نَائِمٌ. إِذْ أَتَاهُ مَلَكَانِ ، فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِهِ، وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِهِ لِلَّذِي عِنْدَ رِجْلَيْهِ: مَا وَجَعُهُ؟ قَالَ: الَّذِي عِنْدَ رَأْسِهِ مَطْبُوبٌ (أي مسحور). قَالَ الَّذِي عِنْدَ رِجْلَيْهِ: مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِهِ: لَبِيدُ بْنُ أَعْصَمَ، قَالَ الَّذِي عِنْدَ رِجْلَيْهِ: بِمَ طَبَّهُ؟ قَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِهِ: بِمِشْطٍ وَمِيشَاطَةٍ ، وَجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ بِذِي ذَرْوَانَ ، وَهِيَ تَحْتَ رَاعُوفَةَ الْبِئْرِ.

فَاسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَدَعَا عَائِشَةَ، فَقَالَ «يَا عَائِشَةُ! أَشَعَرْتِ أَنَّ الله- عز وجل- قَدْ أَنْبَأَنِي بِوَجَعِي» ؟ فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَغَدَا مَعَهُ أَصْحَابُهُ إِلَى الْبِئْرِ، فَإِذَا مَاؤُهَا كَأَنَّهُ نُقُوعِ الْحِنَّاءِ ، وَإِذَا نَخْلُهَا- الَّذِي يَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا- قَدِ الْتَوَى سَعَفُهُ كَأَنَّهُ رؤوس الشياطين قَالَ: فَنَزَلَ رَجُلٌ فَاسْتَخْرَجَ جُفَّ طَلْعَةٍ مِنْ تَحْتِ الرَّاعُوفَةِ، فَإِذَا فِيهَا مِشْطُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمِنْ مُرَاطَةِ رَأْسِهِ، وَإِذَا تِمْثَالٌ مِنْ شَمْعٍ تِمْثَالُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَإِذَا فِيهَا إِبَرٌ مَغْرُوزَةٌ، وَإِذَا

وَتَرٌ فِيهِ إِحْدَى عَشَرَةَ عُقْدَةً فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْمُعَوِّذَتَيْنِ. فَقَالَ: يَا مُحَمَّدٌ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَحَلَّ عُقْدَةً، مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ، وَحَلَّ عُقْدَةً. حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا، ثُمَّ قَالَ: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ وَحَلَّ عُقْدَةً، حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا، وَحَلَّ الْعُقَدَ كُلَّهَا.

وَجَعَلَ لَا يَنْزِعُ إِبْرَةً إِلَّا وَجَدَ لَهَا أَلَمًا، ثُمَّ يَجِدُ بَعْدَ ذَلِكَ رَاحَةً.

فَقِيلَ، يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ قَتَلْتَ الْيَهُودِيَّ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَدْ عَافَانِي اللهِ- عَزَّ وَجَلَّ- وَمَا وَرَاءَهُ مِنْ عَذَابِ اللهِ أَشَدُّ» وقد أخرجه البخاري ومسلم مختصرا.

وقد يكون النفاثات من الجن أو الشياطين؛ فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلاَثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ، فَارْقُدْ فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلاَنَ».

وأَخْرَجَ النَّسائِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ : مَن عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيها فَقَدْ سَحَرَ، ومَن سَحَرَ فَقَدْ أشْرَكَ، ومَن تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إلَيْهِ" .

وروى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد رضي الله عنه أن جبريل أتى النبي ﷺ، فقال :يا محمد اشتكيت، فقال: نعم، قال: بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد، الله يشفيك بسم الله أرقيك.

وأَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ، وابْنُ ماجَهْ، والحاكِمُ، وإسناده ضعيف عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قالَ: جاءَ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُنِي فَقالَ: ألا أَرْقِيكَ بَرُقْيَةٍ رَقانِي بِها جِبْرِيلُ؟ فَقُلْتُ: بَلى بِأَبِي أَنْتَ وأُمِّي، قالَ: بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ واللَّهُ يَشْفِيكَ مِن كُلِّ داءٍ فِيكَ مِن شَرِّ النَّفّاثاتِ في العُقَدِ ومِن شَرِّ حاسِدٍ إذا حَسَدَ فَرَقى بِها ثَلاثَ مَرّاتٍ.

والسحر حرام وكبيرة من الكبائر؛ وحد الساحر القتل بالسيف ؛ ودليله ما ثبت في صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة أنه قال: "كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن اقتلوا كل ساحر وساحرة. فقتلنا ثلاث سواحر"، ولما صح عن حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها: "أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها. فقتلت" (رواه مالك في الموطأ)، ولما ثبت عن جندب أنه قال: "حد الساحر ضربة بالسيف" (رواه الترمذي وقال: الصحيح أنه موقوف)، وعلى هذا فحكم الساحر أنه يقتل على الصحيح من أقوال العلماء، والذي يتولى إثبات السحر وتلك العقوبة هو الحاكم المتولي شئون المسلمين؛ درءاً للمفسدة وسداً لباب الفوضى.

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾

أي" قل أعوذ برب الفلق" من شر حاسد إذا حسد" وعلق الاستعاذة بحسده وشره لا بشخصه؛ والحسد الفعل والحاسد الفاعل؛ والحسد منه المحمود ؛ وهو الغبطة وهي: أن يشتهي لنفسه مثل النعمة التي لغيره، ولا يحب زوالها عنه.

وهو مَحْمَلُ الحَدِيثِ الصَّحِيحِ :لا حَسَدَ إلّا في اثْنَتَيْنِ ... الحديث.

قال ابن عطية في تفسيره "المحرر الوجيز" (٥/ ٥٣٩) : والحَسَدُ في الِاثْنَتَيْنِ اللَتَيْنِ قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَسَدٌ مُسْتَحْسَنٌ غَيْرُ ضارٍّ، وإنَّما هو باعِثٌ عَلى خَيْرٍ.

ومنه المذموم؛ وهذا حرام بإجماع الأمة؛ قال الجرجاني في تعريفه للحسد المذموم: "الحسد تمني زوال نعمة المحسود إلى الحاسد"(١).

وقال الباجي: أن تنافس أخاك في الشيء حتى تحسده عليه، فيجر ذلك إلى الطعن والعداوة، فذلك الحسد(٢).

قال تعالى :﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾[البقرة: ١٠٩].

---

(١) "التعريفات" (ص ٨٧).

(٢) المنتقى شرح الموطأ (٧/ ٢١٦).

وقال سبحانه: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَآ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤].

وروى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: "لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا".

ومن حَسَدِ الحاسدِ العينُ التي تُصيب المعيون فتؤذيه وقد تقتله، أخرج أحمد، وابن ماجه عن عبادة بن الصّامت، عن رسول الله ﷺ: أنّ جبريل أتاه وهو يُوعَك، فقال: باسم الله أرقيك، مِن كلّ شيء يؤذيك، من حسد حاسد وكلّ عين، اسم الله يشفيك.

وقال مقاتل بن سليمان رحمه الله: أن ﴿ومِن شَرِّ حاسِدٍ إذا حَسَدَ﴾ هم اليهود؛ حسدوا النبي ﷺ(١).

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: ﴿ومِن شَرِّ حاسِدٍ إذا حَسَدَ﴾، قال: نفس ابن آدم، وعَيْنُه(٢).

هذا ما تيسر والله وحده من وراء القصد

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٩٣٥).

(٢) "الدر المنثور" للسيوطي (٨/ ٦٩١).

تفسير سورة الناس

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦)﴾

مكية[١] فِي قَوْلِ الْحَسَنِ وَعِكْرِمَةَ وَعَطَاءٍ وَجَابِرٍ، وَمَدَنِيَّةٌ فِي أَحَدِ قَوْلَيِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةَ.

وعدد آياتها ٦. نزلت بعد سورة الفيل.

سبب نزول السورة:

قال السيوطي في "لباب النزول" ص ٢٢٠ : أخرج أبو نعيم في الدلائل من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أنس بن مالك قال: صنعت اليهود لرسول الله ﷺ شيئا فأصابه من ذلك وجع شديد؛ فدخل عليه أصحابه فظنوا أنه لما به، فأتاه جبريل بالمعوذتين فعوذه بهما فخرج إلى أصحابه صحيحا . اهـ

---

(١) على صحة القول أن المعوذتين نزلتا بمكة للهداية والتوجيه ابتداء؛ ونزول جبريل عليه السلام بالمدينة لرقية رسول الله ﷺ بهما لما أصابه سحر اليهود.

وقد قال بهذا البغوي والقرطبي وابن الجوزي وعزاه ابن الملقن للرافعي.

وقال الألباني في "السلسلة الصحيحة" (٦/ ٦١٧) : نزول جبريل بـ (المعوذتين) سندها صحيح.

وعلى صحة القول أن المعوذتين نزلت بمكة للهداية والتوجيه ابتداء؛ فنزول جبريل عليه السلام بالمدينة لرقية رسول الله ﷺ بالمعوذتين لما أصابه سحر اليهود ثابت بالحديث وأصله في الصحيحين.

مناسبة السورة لما قبلها:

قبلها في ترتيب السور سورة الفلق؛ وقد نزلتا معا كما مر في سبب نزول السورتين؛ وقد اشتركتا في التسمية بالمعوذتين، وفي الافتتاح بـ (قُلْ أَعُوذُ) ولذلك قرنتا في الترتيب؛ وفي وحده الموضوع ؛ وفي الفضائل؛ وفي الرقية بهما.

وفي سورة الفلق استعاذة من شَرّ النَّفس؛ وفي سورة الناس استعاذة من قرينها وصاحبها؛ فَأمر الله سُبْحَانَهُ نبيه وَأَتْبَاعه بالاستعاذة بربوبيته التَّامَّة الْكَامِلَة من هذَيْن الخلقين الْعَظِيم شَأْنهمَا فِي الشَّرّ وَالْفساد.

قال أبو جعفر الغرناطي في كتابه "البرهان في تناسب سور القرآن" (ص ٣٨٥) ما ملخصه: وجه تأخيرها عن شقيقتها عموم الأولى وخصوص الثانية، ألا ترى عموم قوله: ﴿من شر ما خلق﴾ فبدأ بالعموم، ثم أتبع

بالخصوص ليكون أبلغ في تحصيل ما قصدت الاستعاذة منه وأوفى بالمقصود.

انتهى

مقاصد سورة الناس:

(١) الإشارة إلى الدعاء والتوسل بالأسماء الحسنى.

(٢) طلب التحصن بالله من شر الوسواس وهو الشيطان.

(٣) طلب التحصن بالله من دعاة الشرور من الإنس أو الجن.

(٤) طلب الاعتصام بالله من سائر الشرور.

تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾

أي قل يا محمد: أعوذ أي أعتصم وألوذ وأستجير برب الناس وهو الله خالق الناس ومالك أمرهم ورازقهم ؛ وَإِنَّمَا قَالَ رَبِّ النَّاسِ مَعَ أَنَّهُ رب العالمين؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى شَرَفِهِمْ؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْناهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ وَفَضَّلْناهُمْ عَلى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلاً ﴾ (الإسراء : ٧٠).

قال أبو حيان في تفسيره "البحر المحيط" (١٠ / ٥٧٨) : وَأُضِيفَ الرَّبُّ إِلَى النَّاسِ، لِأَنَّ الِاسْتِعَاذَةَ مِنْ شَرِّ الْمُوَسْوِسِ فِي صُدُورِهِمْ، اسْتَعَاذُوا بِرَبِّهِمْ مَالِكِهِمْ وَإِلَهِهِمْ، كَمَا يَسْتَعِيذُ الْعَبْدُ بِمَوْلَاهُ إِذَا دَهَمَهُ أَمْرٌ. انتهى

وعليه فأمر الله تعالى بالاستعاذة برب الناس من شرهم؛ وأنه هو الذي يعيذهم ويعيذ منهم.

تفسير قوله تعالى: ﴿ مَلِكِ النَّاسِ ﴾

فالله ملك الناس وهو ملك جميع الخلق: إنسهم وجنهم، كل في مُلكه وسلطانه، تجري عليه قُدرته، وينفذ فيهم أمره وحكمه وقضاؤه ومشيئته دون غيره.

تفسير قوله تعالى: ﴿ إِلَهِ النَّاسِ﴾

إله الناس : معبود الناس، الذي له العبادة دون كل شيء سواه؛ فهو مقصودهم ، الذي يدين له الناس بالعبودية والخضوع والطاعة لأنه هو وحده الذي خلقهم وأوجدهم في هذه الحياة، وأسبغ عليهم من النعم ما لا يحصى.

قال العلامة الجمل في "حاشيته على الجلالين(٤/ ٦١١):

وقد وقع ترتيب هذه الإضافات على الوجه الأكمل، الدال على الوحدانية، لأن من رأى ما عليه من النعم الظاهرة والباطنة، علم أن له مربيا، فإذا درج في العروج ...

علم أنه-تبارك وتعالى -غنى عن الكل، والكل راجع إليه، وعن أمره تجرى أمورهم، فيعلم أنه ملكهم، ثم يعلم بانفراده بتدبيرهم بعد إبداعهم، أنه المستحق للألوهية بلا مشارك فيها . انتهى

تفسير قوله تعالى: ﴿ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾

الوسواس هُوَ الشَّيْطَانُ، أَيْ: ذِي الْوَسْوَاسِ؛ وَالْوَسْوَسَةُ: حَدِيثُ النَّفْسِ؛ كما قال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ وَنَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ [ق: ١٦].

الخناس : وَوُصِفَ بِالْخَنَّاسِ لِأَنَّهُ كَثِيرُ الِاخْتِفَاءِ، وَمِنْهُ قوله تعالى: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴾ يَعْنِي النُّجُومَ لِاخْتِفَائِهَا بَعْدَ ظُهُورِهَا؛ وَقِيلَ: لِأَنَّهُ يَخْنِسُ إِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ اللَّهَ، أَيْ يَتَأَخَّرُ ؛ ويَرْجِعُ إِذَا غَفَلَ الْعَبْدُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ؛ قال البخاري في صحيحه (٦/ ١٨١) : وَيُذْكَرُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿الوَسْوَاسِ﴾: «إِذَا وُلِدَ خَنَسَهُ الشَّيْطَانُ، فَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَهَبَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ ثَبَتَ عَلَى قَلْبِهِ».

قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٠ ـ ٢٠١].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (الزخرف: ٣٦).

تفسير قوله تعالى: ﴿ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴾

أي يوسوس بِالْكَلَامِ الْخَفِيِّ الَّذِي يَصِلُ مَفْهُومُهُ إِلَى الْقَلْبِ مِنْ غَيْرِ سَمَاعٍ.

وَفِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ» [أخرجه البخاري]، وَقَدْ أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ بِهِ".

وأخرج مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود، قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْوَسْوَسَةِ، قَالَ: «تِلْكَ مَحْضُ الْإِيمَانِ».

قال الخطابي: مَعْنَاهُ أَنَّ صَرِيحَ الإِيمَانِ هُوَ الَّذِي يَمْنَعُكُمْ مِنْ قَبُولِ مَا يُلْقِيهِ الشَّيْطَانُ فِي أَنْفُسِكُمْ، وَالتَّصْدِيقِ بِهِ، وَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّ الْوَسْوَسَةَ نَفْسَهَا صَرِيحُ الإِيمَانِ . انتهى

وأخرج أحمد وأبو داود عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أُحَدِّثُ نَفْسِي بِالشَّيْءِ، لَأَنْ أخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَكَلَّمَ بِهِ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَى الْوَسْوَسَةِ ".

قال تعالى : ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ . ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦ ـ ١٧].

تفسير قوله تعالى: ﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾

وَالْجِنَّةُ: جَمْعُ جِنِّيٍّ، كَمَا يُقَالُ: إِنْسٌ وَإِنْسِيٌّ. قَالَ الْحَسَنُ: هُمَا شَيْطَانَانِ، أَمَّا شَيْطَانُ الْجِنِّ فَيُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ، وَأَمَّا شَيْطَانُ الْإِنْسِ فَيَأْتِي عَلَانِيَةً. ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَذلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَياطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ [الانعام: ١١٢].

وقد ثبت في صحيح مسلم قوله ﷺ: "ما منكم من أحد إلا قد وُكل به قرينه" قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: "نعم إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير".

هذا فعلى العبد أن يستعيذ بالله من شياطين الإنس والجن فهو وحد القادر على إعاذة المستعيذ؛ ولا يطلب الاستعاذة من غير الله؛ قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزادُوهُمْ رَهَقاً﴾ [الجن: ٦] .

وفي الحديث القدسي الذي اخرجه البخاري من حديث أبي هريرة قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " " إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي

يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، .. الحديث

هذا ما تيسر والله وحده من وراء القصد

الفهرس

تفسير سورة الاخلاص ..... ص ٤

سبب نزول السورة ..... ص ٤

مناسبة السورة لما قبلها ..... ص ٥

مناسبة السورة لما بعدها ص٥

من مقاصد السورة ..... ص ٦

فضائل سورة الإخلاص ..... ص ٦

تعدل ثلث القرآن ..... ص ٨

مواضع كان يقرأ فيها ﷺ بسورة الإخلاص ..... ص ٩

أول تفسير سورة الاخلاص ..... ص ١٠

تفسير سورة الفلق ..... ص ١٦

سبب نزول السورة ..... ص ١٦

مناسبة السورة لما قبلها ..... ص ١٨

مناسبة السورة لما بعدها ..... ص ١٩

فضائل سورة الفلق وسورة الناس ..... ص ٢٠

مقاصد سورة الفلق ..... ص ٢١
أول تفسير سورة الفلق ..... ص ٢٢
تفسير سورة الناس ..... ص ٣٤
سبب نزول السورة..... ص ٣٤
مناسبة السورة لما قبلها ..... ص ٣٥
مقاصد سورة الناس ..... ص ٣٦
أول تفسير سورة الناس ..... ص ٣٦

تمت

إقرأ للمؤلف

أسباب كثرة مرويات أبي هريرة رضي اللّه عنه

تأليف

أبي عاصم البركاتي الأثري